



ثقافة التسامح

١٠٧



الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

ISBN 978 - 9948 - 02 - 737 - 9

حقوق الطبع محفوظة

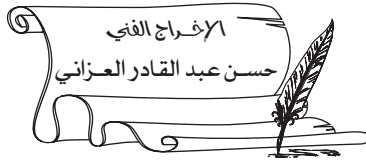
لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي  
إدارة البحوث

هاتف: ١٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ فاكس: ١٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١  
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي  
[www.iacad.gov.ae](http://www.iacad.gov.ae) [mail@iacad.gov.ae](mailto:mail@iacad.gov.ae)



التدقيق اللغوي

شروق محمد سلمان



الإخراج الفني

حسن عبد القادر العزاني



# ثقافة التسامح

بقلم

د. أحمد عبد الله المغربي

إدارة البحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي- إدارة البحوث » أن تقدم إصدارها الجديد « ثقافة التسامح » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطوعين إلى المعرفة.

وهي رسالةٌ وجيزةٌ تتحدثُ عن خُلُقِ إنسانيٍّ رفيعٍ، هو خلقُ (التَّسامُح) الذي ينبغي أن يكونَ ثقافةً وسلوكاً اجتماعياً وفردياً يتحلَّى به كل فرد على وجه البسيطة.

وهي رسالةٌ تُبيِّنُ أنَّ تسامحَ المسلمِ هو تسامحٌ ينطلق من الرغبة فيما عند الله تعالى، فهو تسامح المسلم القويِّ لا الضعيف. وهو تسامحٌ لا يمسُّ العقيدة ولا الدينَ ولا الشريعة ولا المروءة ولا العرض ولا مقدرات الأمة، وإنما هو تحلُّ بمكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام.



وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء  
 لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله،  
 وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي  
 مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل  
 مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي  
 الذي يشيّد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويشجع  
 أصحابه وطلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا  
 التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب  
 التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله  
 وسلّم على النبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله  
 وصحبه أجمعين.

### إدارة البحوث





الحمد لله الهطّالةِ رحمائهُ كلِّ آن، المتفضّلِ على عباده  
بسابعِ العفوِ وعظيمِ الغفران، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدنا  
محمدٍ المبعوثِ رحمةً للإنسِ والجانّ، وعلى آله وأصحابه  
النّاهلينَ من سيّئه كريمةِ الشّمائِلِ وشمالِ الإحسان.

أما بعد: فهذا كتيبٌ وجيزٌ يتحدّث عن خُلُقِ وقيمةِ  
إنسانيّةِ رفيعة، هي قيمة وخلق (التّسامح) الذي حثّ عليه  
الإسلام، من خلال حثّه على مفرداته كالعفو والصّفح  
والغفران والإعراض عن الجاهلين والإحسان إلى المسيء  
والدفع بالّتي هي أحسن والتيسير والتجاوز والتزام



الوسطية، فهذه الأخلاق كلها هي مفردات التسامح، وقد رتب عليها الإسلام الأجر العظيم، بل وأثنى على صاحبها بأعظم الثناء، وصار كل خلق بمفرده منقبةً ومفخرةً لصاحبه.

فالتسامح لا يتحلى به إلا ذو حظٍ عظيم، إذ إن قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وما يلقنها إلا الذين صبروا وما يلقنها إلا ذو حظٍ عظيمٍ ﴿ [فصلت: ٣٤-٣٥]، وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، كلها نصوص حاثّة على بعض مفرداته، فمن تخلّق بخلق منها يكون قد تخلّق بجانب من جوانب التسامح.



وإنَّ تسامحَ المسلمِ هو تسامحٌ ينطلق من الرغبة فيما عند الله تعالى، ومن العمل بما دعا إليه الإسلام، وبالاقتداء بنبية ﷺ صاحب الخلق العظيم.

وهو تسامحٌ لا يمَسُّ العقيدة ولا الدينَ ولا الشريعة ولا المروءة ولا العرض ولا مقدرات الأمة، وإنما هو تحلُّ بمكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام.

فإن كان الأمرُ ماساً للعقيدة أو للدين فلا تسامحَ أبداً، وإنما ثباتٌ على المبدأ لا يتزعزع: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، «يا عمُّ والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»<sup>(١)</sup>.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٤٧٤.



وهو تسامحُ القويِّ لا الضعيف، حتى لقد أدرك ذلك غير المسلمين، فهذا الأديب الألماني جوهان غوته (Johan Goethe) يصرِّح بذلك فيقول: «للاحق أقول: إن تسامح المسلم ليس من ضعف، ولكنَّ المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه وتمسَّكه بعقيدته»<sup>(١)</sup>.

وإن السر في إعطاء التَّسامح كل هذه المكانة السامقة، هو أنه يُشيع الألفة ويُولد المحبَّة، ويَطرد الكراهية، وهو السَّلوک الذي يُزيل الأحقاد ويحمد العصبية وينبذ الاستئثار، فهو دعوة إسلامية إلى السَّلام والتَّعايش الآمن والتَّحلي بمكارم الأخلاق.

وهذا الموضوع قد سبقني إلى الكتابة فيه كثير من الكتاب والباحثين في الشرق والغرب، من تلك المؤلفات على سبيل المثال:

(١) الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة ﷺ ٢٦٥.



١ - التسامح والإخاء الإنساني في الإسلام للدكتور محمود قمر.

٢ - حقيقة التسامح في الإسلام للدكتور سليمان الدريع.

٣ - رسالة في التسامح لجون لوك.

٤ - العمل الخيري مع غير المسلمين للدكتور حسن وهدان.

وكل منهم قد كتب في الموضوع وتوسع في الكتابة فيه من جانب ما، وإن كان بين الأول والثاني تشابه واضح، وقد انطلق كل منهم من بواعث مختلفة، وباعثي هنا هو تقديم كتيب موجز يهدف إلى تطبيق هذا السلوك وتعزيزه، ولم أسهب بذكر تاريخه وجوانبه الكثيرة التي أغناني عنها السابقون.



ولذلك فقد جاء هذا الكتيب من زاوية جديدة، ينصبُّ  
الاهتمام فيه على أربع فِكر:

الأولى: دعوة الإسلام إلى التسامح.

الثانية: فوائد وإيجابيات التسامح.

الثالثة: أسباب وبواعث التسامح.

الرابعة: نماذج عليا من التسامح.

راجياً أن تأتي أفكار هذا الكتيب خفيفة الظلّ على  
نفس قارئها ومتلقّيها ومطالعها، فتلامسُ شغافَ قلوبهم  
وبواطنَ أرواحهم، متضرّعاً إليه سبحانه أن يتقبّله بقبولٍ  
حسنٍ، إنّه سميعٌ مجيبٌ.

د. أحمد المغربي

٢٠١٦/٨/٣م



## توطئة

من المهمّ أن يقف القارئ على معنى (التسامح) من خلال مفرداته؛ ليدرك ما يقتضيه من سلوكيّات:

معنى التسامح:

التسامح، هو التّساهل وزناً ومعنى، جاء في (تاج العروس): « والمساهلة كالمساحة وزناً ومعنى... وتسامحوا: تساهلوا »<sup>(١)</sup>.

فالتّسامح: تساهل وتيسير للأمر وعدم الشّدّة والغلظة فيها<sup>(٢)</sup>.

ويتحقق سلوكياً من خلال مفرداته، فالعفو عن الآخر تسامح، والصفح عنه تسامح، والتعايش المذهبي تسامح،

(١) مادة (س م ح).

(٢) ينظر: موسوعة نضرة النعيم ٦ / ٢٢٨٨.



والتعايش العقدي تسامح، والرفق واللين تسامح، والإيثار  
تسامح، والصبر تسامح، والحلم تسامح، والتغاضي  
تسامح، والتغافل تسامح، والتيسير تسامح.

فالتسامح كلمة جامعة لسلوكيات رفيعة حثَّ  
عليها الإسلام، لا يتحلَّى بها إلا العظماء، والكرماء،  
والكبراء، والعقلاء<sup>(١)</sup>.

وهو خُلُقٌ مستعصٍ على أصحاب النفوس الصَّغيرة  
الذين طُبِعوا على الأنانيَّة والأثرة والتشبُّث بصغائر الحقوق.  
معاني مفردات التَّسامح<sup>(٢)</sup>:

يتحقَّق التَّسامح من خلال مفرداته الكثيرة، ويهمُّنا هنا  
أَنْ نُعرِّفَ بذواتِ الشُّهرة:

(١) انظر النهاذج ص ٤٠.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين ٢٥٢، وإحياء علوم الدين ١٠٩/٩.



## ١ - العفو:

العفو ترك العقوبة فقط، يقال: عفا عن ذنبه إذا لم يعاقبه<sup>(١)</sup>، ولا يقتضي ترك اللوم والعتاب.

## ٢ - الصّفح:

الصّفح ترك العقوبة أيضاً، إلاّ أنّه يقتضي ترك اللوم والعتاب، ولذلك قال السّمين الحلبي<sup>(٢)</sup> وأبو البقاء الكفوي<sup>(٣)</sup>: « قد يعفو الإنسان ولا يصفح ».

قلت: لأنّ الصّفح أرفع من العفو، ومن ثمّ قال تعالى:  
﴿ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فعطف الصّفح على العفو، ولولا ما بينهما من الفرق لما عطف إحدى الكلمتين

(١) ينظر: مختار الصحاح (ع ف و).

(٢) عمدة الحفاظ / ٣٩٤.

(٣) الكليات ١ / ٨٨٧.



على الأخرى؛ لأن العطف يقتضي المغايرة، كما هي القاعدة النحويّة البلاغيّة المشهورة<sup>(١)</sup>.

جاء في الكلّيات: « الصّفح: هو ترك الشريب، وهو أبلغ من العفو »<sup>(٢)</sup>. وجاء في مختار الصحاح: « صفح عنه: أعرض عن ذنبه »<sup>(٣)</sup>، يقال: صفح فلان عن فلان إذا أعرض عن ذنبه ولم يؤاخذه به، فهو صَفوحٌ وِصفَاحٌ<sup>(٤)</sup>، ومنه قول عائشة - رضي الله عنها - تصف أباهما: « صَفوحٌ عن الجاهلين »<sup>(٥)</sup>. أي كان كثير التجاوز والعفو.

وإنما سُمّي الصّفح صفحاً؛ لأنّ الصّفوح يعطي المذنب

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني ١ / ١٤٧.

(٢) الكلّيات ١ / ٨٨٧.

(٣) مادة: (ص ف ح).

(٤) ينظر: تاج العروس (ص ف ح).

(٥) ينظر: موسوعة نصرّة النعيم ٦ / ٢٥٣٠.





صفحة خذّه ويفتح له صفحة جديدة، ويطوي الصفحة التي أثبت فيها ذنبه<sup>(١)</sup>.

### ٣- الصفح الجميل:

الصفح الجميل هو ترك العقوبة واللوم والعتاب أيضاً كالصفح، إلا أنه يقتضي بذل الإحسان إلى المسيء، ومن ثم فهو أرفع من الصفح المطلق.

### ٤- كَظْمُ الغيظ: هو تكلف الحلم.

### ٥- الحِلْم: هو ضبط النفس عند هيجان الغضب.

٦- الغفران: هو محو الذنب فلا لوم قبله ولا بعده فكأنه لم يكن.



(١) ينظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٢ / ٣٩٤، وموسوعة نضرة النعيم ٦ / ٢٨٩٢، و٦ / ٢٥٣٠.



## ١

## دعوة الإسلام إلى التسامح

أشرقت شمس الإسلام بعد ليل من الظلم والظلام،  
 وبعد جاهليّة جهلاء عانت فيها البشريّة أصناف مساوئ  
 الأخلاق، فَمِنْ بطشٍ وطيشٍ وجهالة وسفه، إلى غضبٍ  
 ونزق وحروب واقتتال، حتى بعث الله تعالى رسوله  
 الكريم ليُدحر مساوئ الأخلاق ويتمّم مكارمها، فأعلنها  
 سيّدنا محمد ﷺ في وجه الجاهلية: «إنما بعثت لأتمم مكارم  
 الأخلاق»<sup>(١)</sup>، حتى أصبحت أخلاقه ﷺ دليلاً على نبوته،  
 فمن شكَّ في صدق نبوّته امتحنه في أخلاقه ليزول شكُّه  
 وريبه، كما فعل زيد بن سَعْنَةَ<sup>(٢)</sup>.

(١) المستدرک ٢ / ٦٧٠.

(٢) وسائل الوصول ٢١٨.



فقد كان ﷺ صورة صادقة ونموذجاً حياً لجميع ما دعا إليه القرآن من أخلاق، حتى لتقول عنه عائشة - رضي الله عنها - : « كان خلقه القرآن »<sup>(١)</sup>.

ولنقف على بعض ما ورد في الكتاب والسنة من حث على التسامح والعفو والصفح.

أولاً: ما ورد في القرآن الكريم:

من يتدبر كتاب الله تعالى يقف على كثير من الآيات الداعية إلى العفو والصفح والغفران والتسامح وما قاربها في المعنى:

- منها قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فهذه آية تأمر المسلمين بالعفو والصفح عن أعدائهم من غير المسلمين وعدم مواجهتهم

(١) مسند أحمد ٦ / ٩١.



بالعداوة، أو تذكيرهم وتأنيبهم بسوء أفعالهم، جاء في التحرير والتنوير: « وعدم مؤاخذتهم بسوء أخلاقهم، فلا يعاقبهم، ولا يقابلهم بمثل صنيعهم »<sup>(١)</sup>.

- ومن الآيات الحاتئة على العفو قوله تعالى:

﴿ وَالْكَظِيمِ الْعَبِطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وهي آية تمدح المؤمنين بصفات الكمال التي منها العفو عن المسيء والإحسان إليه.

- ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر:

٨٥]، ففي الآية أمر للنبي ﷺ بالصفح الجميل الذي يقتضي الإحسان إلى المسيء، فهو أعلى من الصفح المطلق الحاصل بترك العقوبة وترك اللوم.



- ومن الآيات الداعية إلى العفو والصفح قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤]، ففي الآية دعوة إلى ثلاثة أخلاق من أخلاق التسامح، هي: العفو والصفح والغفران.

- ومن أعظم الآيات الحاتّة على العفو والتسامح مع العدو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥]، فهذه آية عظيمة تبين تأثير حسن الخلق في الآخرين، وكيف أنه يقلب عداوتهم حباً ومودة.

قال ابن كثير: « إن الله يأمر بمصانعة العدو والإحسان إليه؛ ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى المودة والمصافاة »<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير ١ / ١١٠.



وهناك آيات كثيرة والقرآن الكريم مليء بالحث على حسن الأخلاق ولاسيما العفو والصفح، حتى ليشعر القارئ لكتاب الله أنه لا مجال لمن أراد المسارعة إلى جنة عرضها السموات والأرض، أن ينتقم أو يعاقب.

ثانياً: ما ورد في الحديث الشريف:

في الحديث النبوي جملة كبيرة من الأحاديث الداعية إلى

العفو والصفح والتسامح، منها:

١- قوله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ؟ تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلُ

مَنْ قَطَعَكَ»<sup>(١)</sup>. ففي هذا الحديث حث على التسامح من

خلال ثلاث من صورته: العفو، والبذل، والصلة.

(١) جمع الجوامع ٥ / ٤٦١.



٢- قوله ﷺ: « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ »<sup>(١)</sup>، جزاء عفوه وصفحه، فأعظم به من أجر ومكافأة.

٣- قوله ﷺ: « مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »<sup>(٢)</sup>. فما أعظم هذا الجزاء! رجل يعفو فيكون جزاءه العزُّ. إنه لبيع يُعْبَطُ صاحبه، وإنها لتجارة مع الله رابحة.

٤- قوله ﷺ: « لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تَحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا »<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤ / ٣٩٤.

(٢) صحيح مسلم ٨ / ٢١.

(٣) سنن الترمذي ٤ / ٣٦٣.



فهذا حديث عظيم فيه تربية عظيمة للنفس، وفيه دعوة إلى تكوين الشخصية الإسلامية المتسامحة القويّة، المتبّعة للحق دون الهوى في ساعة الغضب وفي ساعة الرضا، بل إن وجدت على الخير أعواناً أو لم تجد، وإنما حقاً بحاجة إلى حفظ هذا الحديث عن ظهر قلب مع العمل به.





## ٢

## فوائد وإيجابيات التسامح

للتسامح إيجابيات كثيرة وفوائد كبيرة، دنيوية وأخروية واجتماعية ونفسية وصحية وإيمانية، تعود على المتسامح، فمن تلك الفوائد:

١ - أن يعفو الله عنه:

لأن القاعدة القرآنية تقول: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، والحديث النبوي الشهير يقول: « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ »<sup>(١)</sup>.

فهكذا يعامل الله تعالى عباده، بأن يجازيهم من جنس عملهم، ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، فمن

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٢٣، وأخرجه أبو داود أيضاً مع اختلاف يسير ٤/ ٤٤٠.



رحمَ الناسَ رحمه الله، ومن عفا عنهم عفا الله عنه، ومن تسامح وتجاوز عنهم تجاوز الله عنه، دليل ذلك ما أخرجه مسلم أن رجلاً تاجرًا جيءَ به يوم القيامة وليس له من الخير شيء، فكادت ملائكة العذاب تذهب به إلى النار!

- فقالت ملائكة الرحمة: يارب إنه كان يأمر غلمانَه بأن يتجاوزوا عن المعسر.

فقال الله تعالى: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه<sup>(١)</sup>، فهكذا يعامل الله عز وجل عباده بحسب معاملتهم لخلقِه. قال ابن القيم: « وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِئَةِ

(١) والحديث بنصه: « عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ »، أخرجه مسلم ٥/٣٣.

مَوْضِع، عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ [النَّبَأُ: ٢٦]: أَي: وَفَقَ أَعْمَالَهُمْ<sup>(١)</sup>.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُكَيِّ فَيُوكِي عَلَيْكَ»<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

فَمَنْ اتَّصَفَ بِالْعَفْوِ كَانَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ الرَّبَانِيَةِ عَلَى ذُنُوبِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يِعَامِلُهُ بِجِنْسِ عَمَلِهِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: أَمْرَانِ لَا تَضُرُّ مَعَهُمَا كَثْرَةُ الذُّنُوبِ:

- الرضا بالقضا.

- والعفو عمن ظلمك.

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ١٢ / ١٧٦.

(٢) أخرجه البخاري ٢ / ٥٢٠، برقم (١٣٦٦)، ومعنى

(لا توكي) «أي: لا تدخري وتشدي ما عندك، وتمنعي ما في

يدك، فتنقطع مادة الرزق عنك»، تاج العروس (وك ي).



وجاء في تفسير (البحر المديد): « واعلم أن الحق تعالى يجازي عبده جزاء موافقاً لوصفه، فإن كان وصفه التعظيم لكل شيء عظمه الله، ومن كان وصفه التصغير صغره الله، ومن كان وصفه الإحسان أحسن الله إليه، ومن كان وصفه الإساءة أساء الله إليه، ومن كان وصفه الفرق فرقه الله، ومن كان وصفه الجمع جمعه الله، وهكذا كما تدين تدان، كما تقابل الأشياء تقابلك، قال تعالى: ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> [الأنعام: ١٣٦].

أقول: فمن ذا يزهّد في معاملة الله له بالإحسان؟!

٢- أجره على الله:

من كرم الله تعالى أنه يتكفل بمجازاتك عن حقك عندما تسقطه عن الآخرين، فحقك انتقل في باطن الأمر



من العباد إلى ربِّ العباد؛ ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، تفضلاً منه وإحساناً.

### ٣- دليل على كرم ونبيل صاحبه:

مما لا شك فيه أنّ العفو والصفح عن المذنب دليلٌ على عظمة التسامح ونبيل أخلاقه وكرم معدنه، ذلك أنه خير بين أمرين، فاختر أعلاهما وأعظمهما وأحبهما إلى الله تعالى، فقد أباح له الشرع المقابلة بالمثل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، وأيضاً: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٣٩].

هكذا بنص القرآن الكريم يبيح الله تعالى للمظلوم المقابلة بالمثل مراعاة للطبيعة البشرية؛ لأن بعض النفوس لا يشفيها إلا المقابلة بالمثل الذي أباحه الشرع.



فمن اقتصَّ لنفسه سقط ثوابه وأجره، ولذلك أرشد ربُّنا - سبحانه - عباده إلى ما هو أعلى وأنفع في العاقبة، فقال بعد ذلك مباشرة: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، بل وأتبع ذلك بالإرشاد إلى عزائم الأمور التي منها التسامح المعبر عنه بـ (غَفَرَ)، في قوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

ففي اختيار الإنسان للتسامح مع كونه مخيراً بينه وبين المقابلة بالمثل دليلٌ عظيم على إنسانيته ونبله وكرم أخلاقه.

#### ٤ - دليل قوة الإيمان:

من أبرز إيجابيات التسامح أنه يدلّ على حقارة الدنيا في عين صاحبه، وعلى عظم الآخرة في قلبه، وعلى رغبته فيما عند الله، وعلى تقديمه للباقية على الفانية، وأنها محلّ الجزاء



الحقيقي، وأنه هناك أحوج ما يكون إلى الجزاء، وقد ورد في الحديث: « قَيِّدَ الْإِيْمَانَ الْفِتْكَ، لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ »<sup>(١)</sup>.

### ٥- راحة للقلب:

إنَّ العداوات مَضِيْعَةٌ للعمر مَهْلِكَةٌ للمال، جالبة للغم شاغلة للبال، مكدرة لصفو العيش، ورحم الله الإمام الشافعي حين قال:

لما عفوتُ ولم أحقدْ على أحدٍ

أرحتُ قلبي من همِّ العداوات

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤٣/٣. ومعنى (لا يفتك)، أي: لا يقتل من له أمان فجأة، قال الزمخشري في الفائق في غريب الحديث والأثر ٨٨/٣: « الفتك هو أن تهتل غرته فتقتله جهاراً ». وفي غريب الحديث لابن سلام ٦/٤: « الفتك يعني أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافلٌ حتى يشدَّ عليه فيقتله »، وفيه لغتان كسر التاء وضمها، على أنه من باب ضرب أو نصر، نص عليه في تاج العروس (ف ت ك).



فمن كثر عتابه ومعاقبته لن يصفو عَيْشُهُ، ولن يطمئن قلبه، أما التسامح فإنه في عيشة طيبة، (وَمَا يَسْتَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا الْمَسَامِحُ).

فالعاقل الذي يبتغي الدار الآخرة، ينبغي له أن لا يفتح باب العداوات، بل ينبغي له أن يغلقها بالعفو والصفح والتسامح؛ وكما قال بعضهم<sup>(١)</sup>:

وَأَيُّ بَابٍ يَأْتِيكَ مِنْهُ رِيحٌ فَلَا تَفْتَحْهُ وَاعْلِقْهُ

فإن فعل ذلك كان من الخيرين الذين هم مفاتيح للخير مغاليق للشر، قال ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) هو المؤلف.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ١٧٨/٢.





## ٦- يحمي الأعراض:

في الخصومة والانتقام والعنف، هتك للأعراض  
واستحلال للحرمات، وفي التسامح والعفو والصفح حفظ  
للأعراض وصون للحرمات؛ ولذلك قال بعض البلغاء:  
« ما ذبَّ عن الأعراض كالصفح والإعراض »<sup>(١)</sup>.

## ٧- يُدخل الجنة بغير حساب:

من الأعمال التي يُستصغر أجرها وهي عند الله عظيمة،  
التسامح والعفو والصفح، فأجرها عظيم عظيمة لا يتصورها  
أحد، فهي سببٌ في دخول صاحبها الجنة بغير حساب، ففي  
الحديث الشريف:

- « إذا أوقف الله العبادَ، نادى منادٍ ليقم من أجره

على الله فليدخل الجنة.

(١) أدب الدنيا والدين ٢٥٢.



- قيل: من ذا الذى أجره على الله؟

- قال: العافون عن الناس.

فقام كذا وكذا ألفاً فدخلوا الجنة بغير حساب»<sup>(١)</sup>.

قاموا فدخلوا الجنة بعمل عظيم هو العفو والتسامح.

### ٨- التحلي بأخلاق القرآن الكريم:

التسامح هو مبدأ من مبادئ الإسلام، حث عليه

القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي

الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

[الكافرون: ٦]، فديننا الإسلامي يدعو الآخر إلى اعتناق

عقيدته باختيار كامل، دون إكراه ولا إجبار، بعكس ما

تعانيه بعض الديانات الأخرى من تعصب لعقيدتها حتى

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٢٠٨.



وصل ببعضهم الأمر إلى إرغام مخالفينهم « بالسيف والنار على اعتناق بعض العقائد »<sup>(١)</sup>.

وفي هذا أوضح دليل على ما يتحلى به ديننا الإسلامي من تسامح وقدرة على التعايش مع أي عقيدة أخرى، بل ودليل على مقتته للتعصب والعنف.

#### ٩- إنهاء المقاطعات والخلافات والمحاكمات:

في التسامح والعفو والصفح إنهاء لكثير من الخلافات الأسرية والاجتماعية، وإن انصرف بعض الناس عن العفو والصفح تسبب في فتح كثير من الخلافات، وفي فتح كثير من السجلات في المحاكم نتيجة قلة العفو، ورحم الله القائل: (لو أنصف الناس لاستراح القاضي)، وأقول اليوم: (لو عفا الناس لاستراحت المحاكم).

(١) رسالة في التسامح لجون لوك ٧٨.



١٠- تَطْهِيرُ الْقَلْبِ مِنْ دَنَسِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ:

إِنَّ التَّسَامُحَ يَغْسِلُ قَلْبَ صَاحِبِهِ، وَيُخْرِجُ مِنْهُ بَقَايَا  
الْغَضَبِ وَآثَارَ الْحَقْدِ، وَإِنَّهُ لَحَيْرٌ سَلَاحٌ يَتَغَلَّبُ بِهِ الْمَرْءُ عَلَى  
مِنْ أَسَاءٍ إِلَيْهِ، فَبِهِ تَتَطَهَّرُ الْقُلُوبُ وَتَصْفُو النُّفُوسُ.



## ٣

## أسباب التسامح

حُلُقُ التسامح نتيجةٌ لا مقدمة، وهو ثمرة لا بذرة، وذلك أن الأخلاق نوعان: أخلاق هي أصول و جذور و بذور، تكون أساساً لغيرها، وأخلاق هي فروع وثمار و نتائج لغيرها، ومن هذا النوع الثاني التسامح.

فالتسامح نتيجة لعدد من العوامل التي من أهمها:

## ١ - البيئة:

للبيئة المحيطة بالفرد أثرها الكبير في تشكيل سلوكه إيجاباً وسلباً، فهي أحد ثلاثة مؤثرات في حياة الفرد<sup>(١)</sup>، فمن عاش في بيئة الكرماء تأثر بكرمهم وسهل عليه الجود والكرم، ومن عاش في بيئة البخلاء تأثر بهم وصار بخيلاً شحيحاً، وكذلك من عاش في بيئة أهل العفو والصفح

(١) والمؤثران الآخريان: التربية والوراثة.



والتسامح لا ريب أنه سيصبح عفواً صفوحاً متسامحاً،  
والعكس بالعكس فإن عاش في بيئة أهل الغضب صار  
غضوباً، قال الإمام أبو حامد الغزالي عن أثر البيئة في أخلاق  
الفرد: « وأما الأسباب الاعتيادية، فهو أن يخالط قوماً  
يتجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب... فيقول الواحد  
منهم: أنا الذي لا أصبر ولا أحتمل من أحد أمراً<sup>(١)</sup> .

قلت: ومثله من خالط العافين وأهل الصفح والإحسان،  
فلا ريب أنه سيتأثر بأخلاقهم؛ لما للبيئة من أثر قوي في  
أخلاق الفرد.

## ٢- التربية:

إنّ التربية من أهم العوامل المؤثرة في سلوك الفرد  
وأخلاقه وتوجهاته وتفكيره، فهي أحد المؤثرات الثلاثة

(١) إحياء علوم الدين ٩ / ٩٤ .



في حياة الفرد<sup>(١)</sup> التي تشكل شخصيته وتقوّم أخلاقه وتزكّي نفسه.

وقد أولى الإسلام هذا الجانب أهمية كبرى، فسيّدنا رسول الله ﷺ ربّي الصغار والشباب وأدّبهم وقوّم كثيراً من سلوكياتهم القاصرة<sup>(٢)</sup>.

ولذلك فمن المهمّ بل من الضروري أن نربي أبناءنا على التسامح، وأن نحبه إليهم وأن نعظمه في أعينهم ونكرّم أصحابه والمتخلقين به.

وتربيتهم عليه تكون بعدد من الأمور، منها:

(١) والمؤثران الآخران: البيّنة والوراثة.

(٢) كقوله للغلام: « ياغلام سم الله وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك ». وكقوله للشباب الثلاثة « ... لكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ». والحديثان أخرجهما الشيخان.



## - القدوة:

فالقدوة الحسنة في التسامح، نوع من أنواع التربية، تسمى: التربية بالقدوة، فإذا كان الوالدان أو أحدهما متسامحاً، ويراه أولاده في كثير من مواقف التسامح فإنهم لاريب سياتربون على خلق التسامح، وإن كان بالعكس فبالعكس، مثل الطاووس الذي تمايل واختال في مشيته فقلده بنوه في شكل مشيته تأثراً بسلوكه، ولقد أحسن من صاغ ذلك شعراً، فقال<sup>(١)</sup>:

مَشَى الطاووسُ يوماً باعوجاجٍ

فقلدَ شكلَ مشيته بنوهُ

فقالَ علامَ تخالونَ؟ قالوا:

بدأتَ به ونحنُ مقلدوهُ

(١) السحر الحلال في الحكم والأمثال ١/ ٩.





وينشأ ناشئُ الفتيانِ منا

على ما كان عوَّده أبوه

- القصة:

فذكر القصة المؤثرة وحكايتها للأولاد تخلق فيهم هذا الخلق النبيل، ولا سيما قصص التسامح النبوي.

- الأمر والنهي:

هو من أنواع التربية، بل هو من أظهرها وأكثرها استعمالاً، على نحو قول لقمان: ﴿يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، وقوله ﷺ: « يا غلام كلِّ بيمينك... »<sup>(١)</sup>، وقوله أيضاً: « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ

(١) أخرجه البخاري ٥ / ٢٠٥٦.



سنين...»<sup>(١)</sup>، إلخ الآيات والأحاديث التي جاءت موجهة للأولاد بأسلوب الأمر والنهي.

### ٣- الوراثة:

من العوامل المؤثرة في سلوك الفرد: الوراثة<sup>(٢)</sup>، أي أن أخلاق الوالدين والأجداد والأعمام والأخوال، تنعكس تلقائياً على سلوكيات الفرد، فغالباً ما تجد سلوكيات الفرد شبيهة بأحد هؤلاء، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

ولذلك قالت بنو إسرائيل لمريم: ﴿يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا

كَانَ أَبُوكَ تُمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، ناظرين

إلى العامل الوراثي في السلوك.

(١) أخرجه أبو داود ١ / ١٨٥ .

(٢) إلى جانب عاملين آخرين، هما: البيئة والتربية.



## ٤ - الرحمة:

إن التسامح ثمرة يانعة من شجرة طيبة جذورها الرحمة والعطف على عباد الله، فمن كان ذا قلب رحيم، وفؤاد لين، ووجدان مليء بالعاطفة الجياشة، تجده ذا عفو وصفح وتسامح، والعكس بالعكس، فمن كان ذا قلب قاسٍ، وفؤاد حاقد، ووجدان ممتلئ بالشحناء، فلا غرو أن تلقاه ميلاً للانتقام، كثير العتاب، كثير العقاب، فالأخلاقُ يعمل بعضها مع بعض، فبعضها سبب لبعض وبعضها ثمرة لبعض.

ومن الأخلاق ما هي جذور ومنها ما هي فروع وثمار، وإذا وضعنا خلق التسامح في هذا الميزان، فسنجد أنه من الأخلاق المتفرعة من ثمرة يانعة على أغصان شجرة طيبة أصلها الرحمة، وعكسها الانتقام الذي هو ثمرة شجرة خبيثة أصلها القسوة والغلظة.



## ٥- القدرة على الانتصار:

فإنه من قدر على خصمه سهل عليه العفو والصفح عنه، فالكريم يجعل العفو شكراً لله على أن مكنه من عدوه؛ ولذلك قيل: (إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً لله)<sup>(١)</sup>.

## ٦- التقوى:

إنَّ التقوى إذا ملأت القلب، لم يجد المرء سبيلاً إلى الانتقام، وأوجبت عليه العفو والصفح عن كل من أساء إليه، وذات مرة اغتازت أم المؤمنين عائشة من خادم<sup>(٢)</sup> لها، فلم تطاوعها نفسها على الانتصار، فرجعت إلى نفسها

(١) أدب الدنيا والدين ٢٥٢، ورفعها، ولم أفق على تخريجه.

(٢) الخادم لفظ يستوي فيه الذكر والأنثى.



وقالت: «لله دَرُّ التقوى ما تركتُ لذي غيظ شفاء»<sup>(١)</sup>،  
فرضي الله عنها وأرضاها.

### ٧- الترفع عن أخلاق السفهاء:

عندما تكونُ النفسُ شريفةً فإنها تترفع عن مجارة  
السفهاء في سفههم، فتجد صاحب هذه النفس حليماً عفواً  
صفوحاً متسامحاً، بل ومحسناً يربأ بنفسه عن أخلاق الجهال  
والسفهاء، فإن خصموه أو آذوه تركهم وأعرض عنهم  
متمثلاً قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:  
١٩٩]، وتذكر قول القائل<sup>(٢)</sup>:

فَتَرَفَّعَ إِنْ أَرَدْتَ اللَّهُ أَنْ

يَجْعَلَ الْفَرْدوسَ مَأوًى وَسَكناً

(١) أدب الدنيا والدين ٢٥٢.

(٢) هو المؤلف.



وقد انبرى يوماً أحد السفهاء لابن هبيرة يسبه!

(فسكت ولم يُجبه)

- فقال السفيه: إياك أعني.

- فقال: وعنك أعرض<sup>(١)</sup>.

فهذا ترفع عن مجارة السفهاء في أخلاقهم وسلوكياتهم،  
واقتهاء بأخلاق النبي ﷺ الذي كان المثل الأعلى في

الإعراض عن الجاهلين

٨- توطين النفس على تلقي الأذى:

الزلُّ جبلة الإنسان، ولذلك لا مفر من توطين النفس  
على تلقي الأذى من الناس، ثم تمرينها على العفو؛ مراعاة

لتلك الخلقة والجبلة، ولقد صدق الشاعر حين قال:

سامح صديقك إن زلت به القدم

فليس يسلم إنسان من الزل

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين ٢٥٣.



نعم، فليس يسلمُ إنسانٌ من الخطأ والزَّلَل، فإذا  
 عاقبنا كلَّ من زلَّ وأخطأ، فلن يبقى لنا صديقٌ ولا قريبٌ  
 ولا حبيبٌ، وكما قال بشار بن برد<sup>(١)</sup>:

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعَاتِباً

صديقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

فَعِشْ واحداً أوِ صِلْ أخاكَ فَإِنَّهُ

مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ

ورحم الله الخليل بن أحمد فقد وطَّن نفسه على تلقي

الأذى وعلى الصَّفح، حتى قال:

سألزُمُ نفسي الصَّفحَ عن كلِّ مُذنبٍ

وإن كثرتُ منه عليَّ الجرائمُ

(١) ديوانه ١/١٩٦.



ومن أروع ما قاله الحريري:

سَامِحٌ أَخَاكَ إِذَا خَلَطَ مِنْهُ الإِصَابَةَ بِالْغَلَطِ

وَتَجَافَ عَنْ تَعْنِيفِهِ إِنْ زَاغَ يَوْمًا أَوْ قَسَطَ

مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُّ

بل إن الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهما - قد وضع

لنفسه منهجاً خلقياً كريماً عندما قال: « لو أن رجلاً شتمني

في أذني هذه واعتذر في أذني الأخرى لقبِلْتُ عذرَه »<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء رجالٌ عقلاءٌ ملئت قلوبهم بالنقاء، فوطنوا

أنفسهم على العفو عن المسيء، فارتاحت قلوبهم وزكت

نفوسهم ووفرت حسناتهم.



(١) بهجة المجالس ١ / ١٠٥.





## ٤

## نماذج عليا من التسامح

إنّ صفحاتِ تاريخنا الإسلامي مفعمةٌ بقصص العفو والصّفح والتّسامح، ونعرّضُ هنا بعضاً من تلك الصفحات البيضاء الخالدة:

## ١ - تعايش النبي ﷺ مع اليهود:

النّبي ﷺ نبيّ الرّحمة والرفق واللين، أثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن ثمّ فرحمته عمّت المسلمين وغير المسلمين، فمن رحمته بغير المسلمين معاهدته ليهود المدينة المنورة، الذين ضمن لهم فيها العيش بسلام وأمان وتعاون ونصرة، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، فقد ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ كتب « كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع



فيه يهود، وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم»<sup>(١)</sup>.

## ٢- النبي ﷺ يسطر أعظم تسامح في التاريخ:

ومن أعظمِ المواقفِ في التسامح موقف يسطره سيدنا محمد ﷺ يوم الفتح، فمن المعلوم لكل من قرأ التاريخ الإسلامي ما لقيه النبي ﷺ من المشركين من أشد أنواع الظلم وأقبح ألوان الإيذاء، فاحتمل ما تنوء بحمله الجبال: من سبٍّ وشتمٍ وافتراءٍ وتكذيبٍ، ورميٍّ بالسحر وبالجنون ونَبزٍ بالألقاب، واستهزاءٍ وتعنتٍ، وعُدوانٍ باللسانِ وبالسنان، ووضع النجاسات عليه ﷺ - بأبي هو وأمي - وهو ساجد، وحصاره في الشعب، وصددهم له عن وطنه وبلده عند رجوعه من الطائف، وتدبيرهم

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٣.



لقتله وتعذيبهم لأتباعه، وتدبيرهم لحبسه، بل أخرجوه من  
 بيته ووطنه وتأمروا على قتله ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ  
 الْمَكْرِينِ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ثم حاربوا دعوته داخل الجزيرة وخارجها، ولم يكفهم  
 كل ذلك حتى قاتلوه في بدرٍ وأحدٍ والخندق، ومنعوه يوم  
 الحديبية من الدخول إلى مكة معتمراً وردّوه ومن معه، إلى  
 غير ذلك من أنواع الإيذاء والعداء.

إنّ من صنعوا كل ذلك، هم الآن تحت القدرة وتحت  
 الرحمة وتحت السيطرة الكاملة، لا قدرة لهم على صنع  
 أي شيء، وهو ﷺ قادرٌ على أن يصنع بهم ما يشاء من  
 أنواع العقاب، إنهم - في نظر القانون- يستحقون عقوبة  
 الإجماع من أوطانهم والإخراج من ديارهم، ﴿ وَحَزَبُوا



سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا ﴿ [الشورى: ٤٠]، بل يستحقّون الأسرَّ والرَّق والقتل.

ولكن ماذا صنع بهم رسولُ الله ﷺ؟!

لقد تجلّت في يوم الفتح الأخلاق النبويّة العظيمة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

- قال لقريش: يا معشر قريش، ما ترون أنّي فاعلٌ بكم؟

- قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريمٍ.

- قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(١)</sup>.

هكذا غمّهم التسامح النبويّ، فعفا عنهم وغفر كل تلك الجرائم، وأطلقهم أحراراً أعزّاء مكرّمين، ولو أراد أن يعاملهم بعدله لعاقبهم ولانتقم منهم، لكنّه ﷺ لم يُعاقب ولم ينتقم، وإنما عفا وصفح وسامح كفاراً مشركين

(١) سيرة ابن هشام ١٠٧٨.



لا يعبدون الله ولا يُؤحدونه، فكان من آثار ذلك أن آمنوا به  
وصدقوه وأسلموا لله الواحد القهار.

ففي هذا الموقف درس لنا، كيف نترفع عن الانتقام  
عند القدرة حتى من العدو والمشرِك وغير المؤمن، وهو  
أيضاً درس في سمو الأخلاق لنستقي منه كيفية السمو  
بأنفسنا إلى مراقبي الاقتداء بخُلُقِ رسولِ الله ﷺ في العفو  
والصفح والتسامح، حتى نكون دعاة بأخلاقنا وأقوالنا.

٣- يوسف - عليه السلام - صاحبُ أعظمِ تسامح

ورد في القرآن الكريم:

لا تجد في القرآن الكريم قصةَ عفوٍ وتسامحٍ أعظم  
ولا أبلغ ولا أروع من قصة عفو وتسامح يوسف - عليه  
السلام - مع إخوته، إنَّ يوسف كان طفلاً صغيراً وإخوته  
كانوا رجالاً كباراً، فحسدوه ومكروا به وكادوا له وغدروا



به، ودبروا حيلة لقتله وللتفريق بينه وبين أبيه، فألقوه في  
البئر ظلماً وعدواناً.

فلما علموا بنجاته ظلموه مرة أخرى فباعوه بيع العبيد،  
فصار مملوكاً بعد أن كان حراً، وصار غريباً بعد أن كان في  
وطنه، إنه ظلم أمر من العلقم؛

فظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً

على النفس من وقع الحسام المهند

فيا يوسفُ يا عزيزَ مصرَ، هؤلاء الذين أخرجوك  
وحرموك من أبيك وأرادوا قتلك وضربوك وباعوك، هم  
الآن بين يديك غرباء وأنت اليوم عزيز مصر، فما شئت أن  
تفعل بهم فافعل، فلو أمرت أن يسجنوا أو يقتلوا أو يصلبوا  
لكنت منصفاً.



ولكن ماذا فعل يوسف الكريم بن الكريم بن

الكريم بن الكريم؟

لقد سامحهم وقابلهم بأخلاق الأنبياء فأصدر قراراً

بالعفو والصفح قائلاً لهم: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيَّكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ

اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، الله

أكبر!! من يستطيع أن يفعل فعلك يا يوسف؟! من يستطيع

أن يتسامح مثلك إلا الموفقون المفلحون، الذين طلبوا

ماعند الله تعالى، فلم ينتقموا لأنفسهم وإنما كان خلقهم

التسامح والعفو والصفح.

إن سيدنا يوسف - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -،

رسم بذلك الموقف منهجاً كريماً لكل مظلوم أن يقابل المسيء

بالعفو والصفح والتسامح.



٤- ابن عباس يعفو عمّن شتمه<sup>(١)</sup>:

بينما ابن عباس يمشي ذات يوم ومعه عكرمة، فإذا برجل سفيه يعترض طريقه فيسبه ويشتمه، وابن عباس ساكت يستمع إليه.

(فلما فرغ الرجل من السبّ)

- قال ابن عباس لعكرمة: هل للرجل حاجة فنقضها؟

فخجل الرجل ونكس رأسه استحياء مما صنع!

هكذا يتمثل ابن عباس قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

[فصلت: ٣٤].

فانظر كيف دفعه بالحسنى! وكيف انقلب حال الرجل،

فصار حملاً وديعاً بعد أن كان سبُعاً ضارياً.

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٨.





٥- ابن مسعود يعفو عن سارق<sup>(١)</sup>:

كان ابن مسعود - رضي الله عنه - يوماً في السوق يشتري طعاماً، ونقوده معقودة في طرف عمامته، فلما أراد دفع الثمن تحسّس طرف عمامته، فلم يجد النقود، فعلم أنّها قد سُرقت!

فصار الناس يدعون على السارق، ويقولون: (اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا وكذا)، وأما ابن مسعود فقد رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم إنّ كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه).

هل رأينا مثل هذا الصنيع؟!

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٣ / ١٨٤.



يدعو المسروق للسارق لا عليه، يدعو له بالبركة  
والتوبة، بدل أن يدعو عليه بالهلاك والنكبة!

نعم، هذا هو تسامح النفس مطمئنة، الذي جعل من  
ابن مسعود - رضي الله عنه - قدوة لكل مسروق.

٦- سعد بن أبي وقاص يعفو كل مساء<sup>(١)</sup>:

يسمع عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -  
بشارة نبوية بالجنة لسعد بن أبي وقاص، فحرص على معرفة  
السبب الذي يدخل سعداً الجنة؛ فذهب يراقب سعداً في  
منزله! ماذا يفعل من الخير كل ليلة؟! فلم ير له عملاً زائداً  
على عمل سائر الصحابة!

(١) القصة هنا مختزلة من إتخاف الخيرة المهرة ٦/٧٩، ومن شعب  
الإيمان للبيهقي، وهي فيه بتفصيل أوفى ٥/٢٦٦.



- فسأل سعداً عن ذلك؟

- فقال: لا شيء غير ما رأيت « إلا أني أخذ مَضَجِي

وليس في قلبي غَمْرٌ<sup>(١)</sup> على أحدٍ ».

عندها عَلِمَ عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ بِالْعَمَلِ الْبَدَنِيِّ، وَإِنَّمَا

الْأَمْرُ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ.

فبهذا القلب التَّقِيُّ التَّقِيُّ الَّذِي لَا يَحْمَلُ غِشًّا وَلَا حِقْدًا

نال سعدُ الجنةَ.

٧- أَبُو ضَمْضَمٍ يَعْفُو كُلَّ صَبَاحٍ:

رَجُلٌ مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ نَمُودَجًا

لأصحابه في التسامح والعفو والصفح، وحثهم على التخلق

بأخلاقه ومجاراته.

(١) حقد.



- قال ﷺ لأصحابه: « أَيْعَجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ

أَبِي ضَمْضَمٍ؟! »

- قالوا وَمَنْ أَبُو ضَمْضَمٍ؟

- قال « رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَ إِذَا أَصْبَحَ

قال: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى عِبَادِكَ »<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى أنه كان « إِذَا أَصْبَحَ قال: اللَّهُمَّ إِنِّي

وهبت نفسي وعرضي لك »، فلا يَشْتَمُ من شتمه، ولا يظلم

من ظلمه، ولا يضرب من ضربه)<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود ٤/٤٢٣. والمراد بِالْعَرَضِ: جانب المدح والذم

من الإنسان. جاء في الفائق في غريب الحديث والأثر ٢/١٢٠:

« عرض الرجل: جانبه الذي يَصُوتُهُ من نفسه وحسبه ويُجَامَى

عليه أن يُنْتَقَصَ ويثلب ».

(٢) أورده السيوطي في جمع الجوامع ١٠ / ٣٧٥. وعزاه لابن السني

والديلمي.



فياليتنا نكون كأبي ضَمْضَم، فتصدق بأعراضنا على  
من أساءَ إلينا، فإذا نزلت الإساءة كان العفو منا سجية  
وطواعية، وخلقاً لا تخلقاً، وطبيعة لا تطبُّعاً.

وهكذا يفعل الصالحون، يضمرون التسامح والعفو  
عن المسيء قبل وقوع إساءته، وصار العفو سجيتهم.

٨- قيس بن عاصم يعفو عن قاتل ابنه:

يحكي هذا العفو والصفح الأحنف بن قيس، عندما

قيل له: ممن تعلمت الحلم؟

فقال: من قيس بن عاصم؛ « رأيت يوماً قاعداً بفناء

داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه إذ أتى برجل مكتوف

وآخر مقتول فقيل: هذا ابن أخيك قتل ابنك قال: فوالله

ما حلَّ حبوته ولا قطع كلامه. فلما أتمه التفت إلى ابن



أخيه فقال: يا ابن أخي بئسما فعلت أئمت بربك وقطعت  
رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك وقللت  
عددك. ثم قال لابن له آخر: قم يا بني إلى ابن عمك فحلل  
كتافه، ووار أخاك، وسق إلى أمك مئة من الإبل دية ابنها،  
فإنها غريبة»<sup>(١)</sup>.

يا الله! رجل يرى ابنه قتيلاً، ثم يكون بهذا الخلق والحلم  
والتسامح، وبهذا العفو والصفح!!

إنه صحابي عرف الطريق إلى الجنة فلزمها.

(١) أسد الغابة ١ / ٩٢١، وقيس بن عاصم، هو: قيس بن عاصم بن  
سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس، واسم مقاعس:  
الحارث ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي  
المنقري، صحابي من أمراء العرب وعقلائهم وحلمائهم، أسلم  
سنة (٩) هـ، وتوفي سنة (٢٠) هـ. وينظر الأعلام ٥ / ٢٠٦.

## ٩ - صحابي يعفو عن إساءات قرابته:

هذا رجل من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -  
 أجمعين، أساء إليه أقرباؤه، وأذوه وجهلوا عليه، فجاء  
 إلى النبي ﷺ يشكوهم، فقال: « يا رسول الله إن لي قرابةً  
 أصلهمم وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيَسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ  
 عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ».

فماذا أجابه ﷺ؟

لقد أمره بالعفو والصفح والتسامح، ولم يأمره بالانتقام  
 وردّ السيئة بالسيئة، وبين له عاقبة أمره وأنه منصور عليهم  
 بتأييد الله تعالى، قال له: « لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا  
 تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ  
 عَلَى ذَلِكَ »<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم ٤ / ١٩٨٢.



فهذا الحديث يدعو المرء إلى كثير من التسامح والعفو والصفح، فأَيُّ فضل أعظم من أن يكون للإنسان نصيراً وظهير من الله تعالى، يؤازره وينصره على من يسيء إليه.

### ١٠ - زين العابدين يعفو عن الخادم<sup>(١)</sup>:

زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - كَانَ نُمُودَجًا رَائِعًا لِلتَّسَامُحِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْخُدْمِ، فَقَدْ اتَّفَقَ أَنْ جَارِيَتُهُ كَانَتْ تَصَبُّ عَلَيْهِ مَاءَ الْوَضُوءِ، فَشَجَّتْ رَأْسَهُ بِالْإِبْرِيْقِ!! فَمَا عَاقَبَهَا وَلَا ضَرَبَهَا، وَإِنَّمَا كَظَمَ غَيْظَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا.

إِنَّ هَذَا خَلَقَ الْأَقْوِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ، وَلَا يَرْقَى إِلَيْهِ إِلَّا السَّائِرُونَ عَلَى هَدْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ أَحْوَجَ النَّاسِ إِلَى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْهُمْ هُمُ الْخُدْمُ، فَهُمْ يَقْعُونَ فِي أَخْطَاءَ

(١) وينظر: حاشية الصاوي على الجلالين ١ / ٢٣٧.





كثيرة بقصدٍ وبدون قصد، ولا ينبغي أن نُعاقبهم عند كلِّ خطأ، وقد جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟... فَقَالَ: «اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»<sup>(١)</sup>.

إنَّه حديث نبويّ عظيم! لو التزم به النَّاسُ لما سمعنا بحالة واحدة من الحالات التي نسمعها اليوم عن جرائم الخدم: من سرقة ونهب وقتل وفاحشة، وكما قيل: (ما أعطاك الخادم بالقوَّة، يعطيك أفضلَ منه باللين).

وهم بعد ذلك إخواننا جعلهم الله تحت أيدينا، فعلينا أن نعاملهم بالرفق واللين والعفو والصفح والإحسان؛ لنقوي الروابط الأخويَّة بيننا وبينهم، فمن كان منهم مسلماً

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٥٠٦/٤، برقم (٥١٦٦)، والترمذي ٣٣٦/٤، برقم (١٩٤٩).



حَسُنْتَ أَخْلَاقَهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُسْلِمٍ رَبِّمَا يَكُونُ سَبَباً  
فِي إِسْلَامِهِ، وَكَمْ مِنَ الْخُدَمِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْإِسْلَامَ بِسَبَبِ  
التَّعَامُلِ الْكَرِيمِ مِنْ رَبِّ الْبَيْتِ وَرَبِّتِهِ.

فَإِذَا كُنْتَ سَبَباً فِي دُخُولِ أَحَدِهِمُ الْإِسْلَامَ، فَلِكِ مِثْلُ  
أَجْرِهِ مِنْ يَوْمِ إِسْلَامِهِ إِلَى وَفَاتِهِ، وَ«لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ الرَّجُلَ  
الْوَّاحِدَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

### ١١ - التسامح في التجارة:

جاءت امرأة فقيرة إلى الإمام أبي حنيفة تشتري منه ثوباً  
من خَزٍّ ملوناً، فأخرج لها الثوب الذي طلبته، فكانت قيمته  
المعتادة نحو (١٢٠) درهماً.

- فساومته في الثمن وقالت له: إني امرأة ضعيفة، وإنها  
أمانة فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك.

(١) متفق عليه.



- فقال: خُذيه بأربعة دراهم! (أي: خفض لها الثمن بنسبة ٩٥٪ من قيمته الأصلية).

- فوجئت المرأة وقالت: لا تسخر بي وأنا امرأة عجوز كبيرة.

- فقال: إني اشتريت ثوبين، فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم، فبقي هذا يقوم عليّ بأربعة دراهم<sup>(١)</sup>.

فهذا نوع من أنواع التسامح التجاري الذي عزّ نظيره اليوم، إذ إنه لما رأى حالها وسمع مساومتها له رُق لها، فأعطاهما تخفيضاً بنسبة تزيد على ٩٠٪، مما جعل المرأة تتعجب من هذا الصنيع غير المعهود.

ولكن لا غرابة أن يأتي ذلك السلوك من تلك النفوس العالية، النفوس الزكية، النفوس القانعة، النفوس المتسامحة.

(١) الطبقات السنينة في تراجم الحنفية ١ / ١٣٤.



ولو تمنعنا في علة ذلك الموقف بنصفية لوجدنا  
 علتة ساحة النفس، فهو لم يربح! ولكنه في الوقت  
 نفسه لم يخسر! وإنما السر في القناعة والتسامح  
 وسخاوة النفس!

فأين تجارنا اليوم من هذا التسامح التجاري ومن  
 هذه القناعة.

١٢- الإمام أبو حنيفة أيضاً يشفع في شارب خمر:

كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره  
 أجمع، حتى إذا جنَّ الليل رجع إلى منزله وقد حمل معه لحماً  
 فطبخه أو سمكة فشواها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دبَّ  
 الشراب فيه، غنى بصوت، وهو يقول:

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كرية وسدادٍ ثغر



فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت، حتى يأخذه النوم،  
وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد صوته، فسأل عنه؟  
فقال: أخذه العسس منذ ليلال، وهو محبوس.

فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غدٍ، وركبَ بَغْلَةً،  
واستأذن على الأمير.

- فقال الأمير: ائذنوا له، وأقبلوا به راكباً، ولا تدعوه  
ينزل حتى يطأ البساط، ففعل.

فلم يزل الأمير يوسع في مجلسه، وقال: ما حاجتك؟  
- قال: لي جارٌ إسكاف<sup>(١)</sup>، أخذه العسس منذ ليلال،  
ويأمر الأمير بتخليته.

- فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا  
هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين.

(١) صانع الأحذية ومصليها.



- (فركب أبو حنيفة، والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه)

- فقال: يا فتى، هل أضعناك؟

- فقال: لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعايته.

وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه ببركة الإمام، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة مُتقلبه ومثواه، ونفعنا بركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

### ١٣- التسامحُ مع غير المسلم:

المسلم العاقلُ الكيِّسُ الفطنُ يجعل أخلاقه صورة لتعاليم الإسلام، فيدعو إلى الإسلام بحاله وأخلاقه قبل مقاله، فقد حثنا الإسلامُ على ذلك، بل وحثنا على البرِّ

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١ / ٣٤ - ٣٥.



والإحسان إلى الخلق كافة، كما قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، وخص المشركين بالذكر والتنصيص على جواز التعامل معهم، بل والبرّ والإقساط إليهم.

جاء في تفسير ابن كثير، عند قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكُمْ ﴾ الله عن الذين لم يقبلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم<sup>(١)</sup> إن الله يحبّ الْمُقْسِطِينَ ﴿ [المتحنة: ٨]، قال: « أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم، ﴿ أَنْ تَبْرُوهُمْ ﴾ أي: تحسنوا إليهم ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ أي: تعدلوا<sup>(٢)</sup>، فهذا نص قرآني محكم في المعاملة الحسنة مع المشركين الذين ليس بيننا وبينهم قتال<sup>(٢)</sup>.

(١) ٨ / ٩٠.

(٢) ينظر كتاب العمل الخيري مع غير المسلمين ٧٥-٢٧٠.



وقد تخلق المسلمون الفاتحون بهذا الخلق في معاركهم وفتوحاتهم، فتركوا في قلوب أهل تلك البلاد المفتوحة أجمل الآثار التي أسفرت عن حب للإسلام وإجلال للفتاحين، فشهد بذلك مثقفوهم وعلماؤهم، فهذا أستاذ بجامعة كمبردج، يدعى (جون براند JOHN BRAND) يقول: «... إن المسلمين في أسبانيا ضربوا مثلاً رائعاً بما كفلوه لغيرهم من ذوي العقائد المخالفة لمذهبهم من سعة العيش والتسامح»<sup>(١)</sup>.

فهذه نماذج حية وصور صادقة عن التسامح في الإسلام، وما ذكرناه هاهنا ما هو إلا غيض من فيض.



(١) التسامح والإخاء الإنساني في الإسلام ١٣٥. وينظر حقيقة







لم أتوسّع كثيراً في الموضوع؛ رغبةً في أن يكونَ كتيباً صغيرَ الحجم قريبَ المنال، والغرض الآن ذكر النتائج التي من أهمها ما يأتي:

١- إنَّ التَّسامحَ من الأخلاق التي من تحلَّى بها دلَّ على تحلّيه بكثير من الصفات الأخرى؛ لأنّه نتيجة وثمره لأخلاق هي أصول ومنطلقات كالرحمة والتقوى.

٢- إنَّ التَّسامحَ يكون في الحقوق الخاصة، وفي حق

الشخص نفسه، لا في حقوق الله تعالى وفرائضه، ولا في أوامر الله تعالى ونواهيه، ولا في حقوق العباد.

٣- إنَّ ديننا الإسلامي خير المظلوم بين الانتصار والعفو، ولم يفرض واحداً منهما، ولكنه تعالى بعد التخيير ندب إلى العفو والصفح، فقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

٤- إنَّ التَّسامحَ يعني الرفق واللين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يعني تركهما.

٥- إنَّ التَّسامحَ يعني التعايش السلمي مع الآخر، ولا يعني التنازل عن العقيدة أو عن المبادئ أو عن الثواب الدينية.

٦- إنَّ التَّسامحَ يعني التعايش مع الآخر مهما كانت عقيدته، وعدم إجباره على اعتناق الدين الإسلامي، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومن توصيات هذا العمل العلمي:

١- أن يتخلق المسلم بهذا الخلق الكريم وأن يجاهد نفسه في التخلق به، كي ينال جميع الفضائل المترتبة عليه.

٢- أن يُشاع موضوع التسامح والعفو في خطب منبرية ومحاضرات وندوات؛ لئلا يفتقر المجتمع إلى أثر إيجابي في الفرد والمجتمع.

٣- نظراً لكون الموضوع ذا جوانب عديدة، فأوصي بإفراد كل جانب بكتابة مستقلة فيه.



هذا وأبتهل إلى الله سبحانه أن يهديننا لأحسن الأخلاق  
لا يهدي لأحسنها إلا هو، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد  
وعلى آله وأصحابه أجمعين.



## قائمة المصاوير

- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت. بدون تأريخ.
- أدب الدنيا والدين للماوردي، تحقيق د. محمد صالح، دار الحياة، بيروت ١٩٨٦م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن محمد ابن لأثير، دار ابن حزم ببيروت، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين ببيروت، ط ٥، ١٩٨٠م.
- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، تحقيق



بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم ببيروت، ١٩٩٨ م،  
بدون طبعة.

- بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر يوسف  
عبدالله ابن عبد البر، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب  
العلمية ببيروت بدون طبعة وبدون تأريخ.

- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، دار  
الفكر ببيروت، ١٩٩٤ م، بدون طبعة.

- التسامح والإخاء الإنساني في الإسلام للدكتور  
محمود قمر، عين للدراسات والبحوث بمصر، ط ١،  
٢٠١٣ م.

- تفسير ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير)، تحقيق  
سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢،  
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.



- جمع الجوامع للسيوطي، الناشر الأزهر الشريف  
بمصر، ٢٠٠٥م.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الحديث  
بالقاهرة، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، دار الكتب  
العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ.

- حاشية الصاوي على الجلالين، دار الكتب العلمية  
بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- حقيقة التسامح في الإسلام للدكتور سليمان الدريع،  
دار ابن كثير، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩م.

- ديوان بشار بن برد، بشرح محمد الطاهر بن عاشور،  
عناية محمد رفعت ومحمد شوقي، مطبعة لجنة التأليف  
بالقاهرة، ١٩٥٤م.



- رسالة في التسامح لجون لوك دار الغرب الإسلامي  
بيروت، ط١، ١٩٨٨ م.
- السحر الحلال في الحكم والأمثال لأحمد الهاشمي،  
دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ أو طبعة.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني،  
تحقيق محمد عوامة، دار القبلة بجدة والريان بيروت والمكية  
بمكة، ١٩٩٨ م.
- سنن الترمذي محمد بن عيسى، تحقيق كمال الحوت،  
دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٧ م.
- السيرة النبوية لابن كثير، دار المعرفة بيروت.
- السيرة النبوية لابن هشام، دار المغني بالرياض تحقيق  
مصطفى السقا وآخرين، ط١، ١٩٩٩ م.





- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي  
عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض،  
ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار  
إحياء الكتب العربية ببيروت، ١٩٩٢ م.

- صحيح البخاري، عناية د. مصطفى البغا، دار ابن  
كثير واليامة بدمشق وبيروت، ط ٥، ١٩٩٣ م.

- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، لتقي الدين  
الغزي، تحقيق عبدالفتاح الحلو، المجلس الأعلى للشؤون  
الإسلامية بالقاهرة، ١٩٧٠ م.

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين  
الخليبي، عالم الكتب ببيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.



- العمل الخيري مع غير المسلمين للدكتور حسن  
وهدان، دار النفائس، ط ١، ٢٠١٣ م.

- غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي، تحقيق:  
د. محمد عبد المعيد خان لابن سلام، دار الكتاب العربي  
بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ م.

- الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري،  
تحقيق علي محمد البجاوي وغيره، دار المعرفة  
بيروت، ط ٢.

- الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش  
وآخر، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٨ م.

- مختار الصحاح للرازي، دار الكتاب العربي بيروت،  
١٩٨١ م. بدون طبعة.

- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم  
النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب  
العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط  
وآخرين، بإشراف د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة  
بيروت، ١٩٩٦ م.

- الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة ﷺ،  
لمجموعة مؤلفين، بإشراف أ.د. عادل بن علي الشدي،  
وأ.د. محمد بن عثمان المزيد، رابطة العالم الإسلامي  
٢٠١٢ م.

- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول  
الكريم ﷺ، بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد



وعبدالرحمن بن ملوح، دار الوسيلة بجدة، ط ١، سنة

١٩٩٨ م.

- وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ ليوסף

النبهاني، دار المنهاج ببيروت، ط. ٢، ٢٠٠٤ م<sup>(١)</sup>.



---

(١) تم الكتاب والحمد لله رب العالمين، ٣/٨/٢٠١٦ م.



## قائمة المحتويات

٥	افتتاحية .....
٧	المقدمة .....
١٣	توطئة .....
١٤	معاني مفردات التسامح .....
١٥	العفو .....
١٥	الصفح .....
١٧	الصفح الجميل .....
١٧	كظم الغيظ .....
١٧	الحلم .....
١٧	الغفران .....
١٨	١- دعوة الإسلام إلى التسامح .....
١٩	أولاً: ما ورد في القرآن الكريم .....
٢٢	ثانياً: ما ورد في الحديث الشريف .....
٢٥	٢- فوائد وإيجابيات التسامح .....



- ٢٥ ..... ١- أن يعفو الله عنه
- ٢٨ ..... ٢- أجره على الله
- ٢٩ ..... ٣- دليل على كرم ونبيل صاحبه
- ٣٠ ..... ٤- دليل على قوة الإيمان
- ٣١ ..... ٥- راحة للقلب
- ٣٣ ..... ٦- يحمي الأعراض
- ٣٣ ..... ٧- يدخل الجنة بغير حساب
- ٣٤ ..... ٨- التحلي بأخلاق القرآن الكريم
- ٣٥ ..... ٩- إنهاء المقاطعات والخلافات
- ٣٦ ..... ١٠- تطهير القلب من دنس الحقد والحسد
- ٣٧ ..... ٣- أسباب التسامح
- ٣٧ ..... ١- البيئة
- ٣٨ ..... ٢- التربية
- ٤٢ ..... ٣- الوراثة
- ٤٣ ..... ٤- الرحمة



- ٤٤ ..... ٥- القدرة على الانتصار
- ٤٤ ..... ٦- التقوى
- ٤٥ ..... ٧- الترفع عن أخلاق السفهاء
- ٤٦ ..... ٨- توطين النفس على تلقي الأذى
- ٤٩ ..... ٤- نماذج عليا من التسامح
- ٤٩ ..... ١- تعايش النبي ﷺ مع اليهود
- ٥٠ ..... ٢- النبي ﷺ يسطر أعظم تسامح في التاريخ
- ٣- يوسف عليه السلام صاحب أعظم تسامح ورد في القرآن الكريم ..... ٥٣
- ٥٦ ..... ٤- ابن عباس يعفو عن شتمه
- ٥٧ ..... ٥- ابن مسعود يعفو عن سارق
- ٥٨ ..... ٦- سعد بن أبي وقاص يعفو كل مساء
- ٥٩ ..... ٧- أبو ضمضم يعفو كل صباح
- ٦١ ..... ٨- قيس بن عاصم يعفو عن قاتل ابنه
- ٦٣ ..... ٩- صحابي يعفو عن إساءات قرابته



- ٦٤ ..... ١٠- زين العابدين يعفو عن الخادم
- ٦٦ ..... ١١- التسامح في التجارة
- ٦٨ ..... ١٢- الإمام أبو حنيفة يشفع في شارب خمر
- ٧٠ ..... ١٣- التسامح مع غير المسلم
- ٧٣ ..... الخاتمة -
- ٧٧ ..... قائمة المصادر -
- ٨٥ ..... قائمة المحتويات

